المجلس العلمي

## المحاضرة السابعة (07)

## الحرف والصنائع في المغرب السعدي.

**عناصر المحاضرة:**

- تمهيد
- ملامح النشاط الصناعي
- استراتيجية السعديين في المجال الحرفي والصناعي
- أهم الصناعات
- قصب السكر كصناعة استراتيجية
- خاتمة

**تقديم:**

تعتبر الظاهرة الاقتصادية التي شهدها المغرب في الفترة السعدية عنوانا للفترة الذهبية في فترة حكم المنصور الذهبي حيث عرف النشاط الحرفي والصناعي انتعاشا وكان يقوم على تحويل المواد الأولية الفلاحية والمعدنية المحلية، إضافة إلى بروز صناعات جديدة ساهم فيها الوافدون، إلا أن أبرز صناعة كانت قائمة على السكر التي شكلت قطاعا حيويا.

**1-ملامح النشاط الصناعي:**

سعى الملوك السعديين وخاصة محمد الشيخ والمنصور الذهبي إلى تطوير المجال الصناعي والحرفي، ولعل تظافر جملة من العوامل ساعدت على تطويره. وترتب عن الازدهار الزراعي في المغرب قيام صناعات كثيرة حيث وجد ارتباط بين قطاعي الصناعة الزراعة فكانت تكاملية إلى حد كبير.

كما عرفت عن الصنائع المغربية بالتنوع كإقامة معاصر السكر، واستخراج الحديد، وطحن الحبوب، وصناعة النسيج، ودبغ الجلود، وصناعة الأواني الفخارية ويرجع ذلك إلى وفرة المواد الأولية كالمعادن واستغلال المناجم التي يغلب عليها الطابع الخام ومن أهم هذه المعادن "الحديد، النحاس" وحتى الملح.

-اعتمدت الصناعة المغربية أساسا على المواد الفلاحية الأساسية كقصب السكر وتميزت ب:

-الجودة والتنوع، الوفرة، السلع متواجدة في البادية والمدينة "أي الانتشار".

-الاحتكار أي أنها صناعة محتكرة من طرف المخزن في أغلب الأحيان.

-وجود دروب وأحياء منظمة وغالبا يكون الإشراف أندلسي والوساطة يهودية.

**2-استراتيجية السعديين في المجال الحرفي والصناعي:** أقاموا مصانع عديدة لصناعة السكر في عهود محمد الشيخ (1544-1557) وعبد الله (1557-1574) وخاصة المنصور (1578-1603)[1] الذي استكثر منها.

[1]- ابن القاضي المكناسي، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ، تح :محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط 1986، ص 835.

ويبدو أن مصانع السكر التي بناها المنصور تختلف كثيرا عن المصانع التي أقيمت في عهد سابقيه حيث أنها كانت أكثر تطورا[1] .

استغل السعديون خبرة اليهود والنصارى في إقامة مصانع السكر وخاصة في تصنيعه تبعا لآخر الأساليب والطرق التي توصل اليها البنادقة. وبالتالي فإن هذه الصناعة عرفت رواجا كبيرا بفضل جملة من **العوامل**:

-تشجيع الدولة لتنوع وتوسيع زراعة قصب السكر، حيث كان الاعتماد على السكر في التصدير لتعويض النقص الحاصل في منتجات أخرى

-استراتيجية الدولة وتشجيع نظام المخزن لهذه الصناعة واحتكار هذه الصناعة من طرف نظام المخزن التي يعتبرها مصدرا من مصادر الدخل.

-تمركز هذه الصناعة: تارودانت، سوس، شيشاوة، الصويرة، تطوان، طنجة. إلا أن إنشاء المعامل كان أغلبها في منطقة تارودانت (وجود 14 مصنع في واد ماسة.

-وفرة المياه بوجود معدلات للمغياثية والأنهار والاودية دائمة الجريان (أم الربيع- أبو رقراق- سوف-تنسيفت- درعة- أغمات) إضافة إلى العيون والآبار.

-وجود صناعات مرفقة بها التي تساعدها مثل: خلق مهن لشق القنوات، إنشاء الناعورات، صناعة الحديد هو الذي استقطب اليد العاملة.

-وجود نوع من التعاقد مع اليهود والنصارى.

-إقامة قرى صناعية وانتعاش البادية وانتشار أغراض التجارة خاصة بعد حذف ضريبة النائبة المثقلة لكاهلهم وبالتالي زاد التعداد السكاني وانتشرت الاعمال والتجارة الداخلية وكثرت الجباية ...

-محاولة خلق التوازن من خلال هذه المواد الغذائية الاستراتيجية وإيجاد حلفاء أوربيين يساعدونها في الحملات العسكرية والسند الديبلوماسي.

-الاعتماد على تنويع المنتجات بهدف تنويع الصادرات وكسب الحلفاء.

**3-أهم الصناعات:**

**الصناعة النسيجية:** منتشرة في أغلب المدن وحتى البوادي وتشمل الأغطية، البرانيس، الشاشية، الثياب، الزرابي، الحياك ولعل أشهر المدن في الصناعة التقليدية نجد فاس.

**الصناعات اليدوية:** الأكثر انتشارا نظرا لتوسعها في البادية والارياف إضافة الى الحرف المنزلية التي تستخدمها النساء بمختلف انتماءاتهم العرقية وحتى بعض الوافدين من الفرنجة، شملت كذلك الأحياء الشعبية في المدن الكبرى ومنها النجارة والخياطة والمطاحن وصناعة الصابون والشموع وتحضير البخور والعطور وحباكة أنواع الأنسجة والأغطية.

**صناعة الأسلحة:** اهتم بها السعديون وعملوا على تطويرها نتيجة التحديات الخارجية وحتى الداخلية وحاجة الجيش السعدي للذخيرة والعتاد وأهمها دار العدة "العتاد"، القصر الملكي مراكش، صناعة السفن بمدينة سلا

[1]- الفشتالي، المصدر السابق، ص209.

(نهر أبي رقراق) إضافة إلى صناعة السيوف والرماح، المجاديف كما شجّعوا صناعة الذخيرة والمدافع في فاس، مراكش، تارودانت ...

واستكثر الملوك السعديين من صناعة المدافع والأسلحة المختلفة في المصنع الكبير الذي أنشأه بمراكش وسماه الترسانة، وذلك تحت اشراف خبراء أتراك واندلسيين حيث أنتج أول مدفع في العقد الخامس من القرن 10م/16م على يد أحد الموريسكيين، وذلك من نحاس منجم تنزيره الذي أكتشف في سنة 1539 في جنوب المغرب، وفي نفس الفترة نجح أحد الجزوليين في صناعة كور المدافع من حديد جزولة[1] كل ذلك لمواجهة أتراك الجزائر العثمانيين، والبرتغاليين (وادي المخازن (في أوت سنة1578

**صناعة السفن:** عزم السلاطين السعديون على تأسيس أسطول كبير، بعد أن تمكن من توحيد المغرب تحت سيادته أواسط القرن 10هـ/16م، اعتقادا في استعادة الاندلس وتحرير المراكز المغربية الباقية بيد البرتغاليين والاسبان، والاستفادة منه في أعمال الغزو البحري على غرار أتراك الجزائر، وانطلقت عملية التشييد من بادس التي كانت تشتهر ببناء السفن الخشبية لوفرة الخشب الملائم في جبالها. إضافة إلى العرائش وسلا حتى نافسوا أتراك الجزائر في عدد القطع البحرية (بلغ عدد قطع الأسطول المغربي في سنة 1577 أربعين سفينة).

**الصناعة الاستخراجية:** عادة ما تكون في شكلها الخام من أهمها ملح البارود من مواقع عديدة وتصنيع الكثير منه محليا لتصديره أو استخدامه في الأسلحة، إضافة إلى النحاس، والحديد، والرصاص ويتم استخراج ملح الطعام من تاغازة ومناجم الذهب في السودان الغربي، وقد كان تصنيع قسم منها محليا وتصدير الفائض إلى الدول الأوروبية مثل استخراج النحاس من تنزيره وصناعة المدافع الأولى، كما كانت تصنع المزاهر وغيرها من الاواني[2] في أفران، وقد كانت تسوق محليا وتصدر الى بلاد السدان الغربي. كما تم استخراج الحديد من جزولة لتصنيع مختلف الآلات وكور المدافع. لكن في المقابل لم تكن صناعة المعادن تفي بالحاجة لذلك كان المغرب يتلقى أدوات جاهزة نحاسية وغير نحاسية من أوروبا.

**الصناعة التحويلية:** شغف السعديون بالمخترعات وشجعوا عليها مما دفع الحرفيين وأصحاب الصنائع الى الابتكار والتجديد، كما تم استقدام المهرة من الصناع من مختلق الدول سواء لصناعة السفن أو لبناء قصره "البديع" أو لصناعة الأسلحة وقد سمح كل ذلك بتميزها في الجودة والتنوع و الوفرة.

**4-قصب السكر كصناعة استراتيجية:**

انطلاقا من جملة العوامل والظروف الدولية والإقليمية حاول السعديون خلق قطاعات اقتصادية جديدة يكون عليها اقبال كبير وتحقق عائدات مالية؛ فكانت صناعة السكر بمثابة "صناعة استراتيجية " وذلك عبر توسيع مجالات زراعة قصبها وبناء عدد من المصانع لاستخراج وتحضير أجود أنواع السكر الذي عرف العالم خلال القرن 16م. [3] .

---

[1]- مجهول، تاريخ الدولة السعدية التاكمادرتية، تص: ج- كولان، الرباط 1934، ص 51.

[2]- مارمول، المصدر السابق، ج3، ص8.

[3]- عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب في القرن 18عشر، مساهمة في التاريخ الاقتصادي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2012، ص ص 19-20

فما كان الا ان أصبحت البضاعة الأولى التي يسعى إليها التجار الأوروبيين؛ فحقق من خلالها المخزن السعدي عدة مكاسب في عديد المجالات الاقتصادية والسياسية والديبلوماسية...

أدرك سلاطين هذه الدولة الأهمية الاقتصادية لقصب السكر وصناعته[1] نظرا لعائداته التي تم استغلالها في الحصول على الأسلحة[2] وهو ما جعل هذه الصناعة تعرف تطورا كبيرا، وقد وصل عدد معاصر قصب السكر عند مطلع القرن 17م ستة عشر معصرة[3].

كما كان للسياسة الاحتكارية التي نهجها الاسبان والبرتغال لأسواقهما بأمريكا والمحيط الاطلنطي دور بارز في ازدهار صناعة السكر خلال القرن 16م، حيث دفع هذا الاحتكار عدد من التجار غير الايبيريين إلى الاتجار مع المغرب كالفلامنديين والفرنسيين وخاصة الانجليز الذي أصبحوا يتوافدون على سوس بكثرة[4] وذلك نظرا لجودة السكر المغربي وانخفاض ثمنه مقارنة مع السكر الايبيري. ناهيك عن قرب المغرب من القارة الأوروبية وتوفره على بضائع أخرى إلى جانب السكر، وحاجة المغرب للمواد المرتفعة الثمن كالرخام والأسلحة النارية مما يعطي لهؤلاء التجار إمكانية للربح ذهابا وايابا [5] وبالتالي أصبح المغرب ابتداء من 1570م المزود الرئيسي لأروبا بمادة السكر[6]

**خلاصة:** إن التقدم الصناعي الذي حققه أوائل السعديين في عديد من المجالات أصيب بنكسة بعد وفاة المنصور للأسباب ذاتها التي أثرت على الزراعة أي نتيجة اضطراب المغرب في الثلثين الأوليين من القرن السابع عشر الميلادي (11ه) ذلك الاضطراب الذي نجم عن نزاعات أبناء المنصور والأوبئة الكثيرة التي أشير إليها بالإضافة تجدد الاطماع الخارجية وكثرة الثائرين في الداخل.

---

[1] توفيق لقبايبي، الأهمية الاقتصادية لمادة السكر السعدي، أمل التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 44، 1015، ص47

[2] - محمد المهناوي، دور التجارة الاوروبية في تعزيز الهياكل السياسية بمغرب القرن السادس عشر من خلال نموذج السلاح الناري، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج2، كلية الآداب والعلوم الانسانية عين الشق، الدار البيضاء، 1989، ص 177.

[3] -المنصوري، المرجع السابق، ص ص 19-20.

[4] - حليمة بنكرعي، مداخيل بيت مال المغرب في عهد السعديين 1548-1661م، ط1، مكتبة دار السلام، 2006، ص 47.

[5] -عثمان المنصوري، م س، ص 21

[6] - عبد المجيد القدوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر(مسألة التجاوز)، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2012، ص 206 .